

سراقات في كتب النقد العربية وخصومات مع المتنبي وأدونيس

حاتم الصكر يحلل عملية المثاقفة والتأثر والتأثير بين الشعريتين العربية والغربية

مع تعدد الترجمات وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي بات الشعراء العرب أكثر قدرة على التفاعل والاطلاع على مختلف شعريات العالم. لكن المثاقفة على أهميتها، فإنها تطرح إشكالات عديدة بداية بالتأثر الأعمى وصولاً إلى السراقات الأدبية. وهو ما يناقشه بجرأة الناقد العراقي حاتم الصكر.



محمد الحماصبي
كاتب مصري

يواصل الناقد العراقي حاتم الصكر قراءاته النظرية والتحليلية للشعرية العربية، كاشفاً لتجلياتها وباحثاً في جديدها ومتعمقاً في ما واجهها من تشابكات وإشكاليات. ويأتي كتابه الأخير "تنصيب الآخر.. في المثاقفة الشعرية والمنهج ونقد النقد" مقاربا لموضوع ينصل بالكاتبة الشعرية وما اقترحتة دروس التناس والتأثر هو المثاقفة الشعرية، مما يعد ضروريا لتكوين الشاعر الذي لا يمكن أن يكفني بموهبته وقدراته.

دائرة المثاقفة الأدبية تتوسع لتشمل التأثر بالأفكار والرؤى والتصورات الغربية وسواها من نتاج ثقافات الآداب الأجنبية

ويرى الناقد أن ثقافة القصيدة فتفتقر إلى الحيوية حين تنقطع عن المصادر التي ترقد الموهبة وتعمقها بجانب الخبرة والتجربة الإنسانية، حيث يشير إلى أنه إذا كان للترجمة والدراسات المقارنة إسهامها الواضح في المثاقفة مع الآخر بطريق تقديمه كما في مونه وغيرها، فيكون بائناً والمتمتلي العربي مستقبلاً، فإن درس المثاقفة، والمثاقفة الشعرية خاصة، يهب القراء فرصتين: أولاهما أنه يتفحص وجود الآخر والصلة به عبر متون عربية يكون النقص والتأثر والهضم أهم مبرراتها وركائزها أيضاً. وثانيهما أنه يتيح فنياً تلمس الكيفيات النصية التي تمت بها.

المثاقفة الشعرية

يشير الصكر في كتابه الصادر أخيراً عن دار خطوط وظلال بعضان، إلى أن عملية المثاقفة سواء أكانت عن طريق الناقد الفردي أي شاعر باخر، أو تأثر شاعر بظاهرة شعرية، تدرس أيضاً الكيفيات الممكنة للصياغات النصية، وفي مقدمتها الجانب اللغوي والتركيبي ثم عناصر الخيال والتتمتلات الذاتية والأشكال والأساليب التعبيرية. كما أن الجانب الموضوعي أو المضموني سيكون مادة لدراسات المثاقفة رغم تحفظ الحداثة منهجياً

وتعبيرياً على كتلة الموضوع وإدراج النصوص تحته كفريق لا تميز بين كتاباته، وتستبدل به البحث عن الدلالة في النص وما تأخذه من تلاوين وتنويعات مباشرة أو رمزية. ولكننا نستطيع أيضاً بفعل رؤى المنهج البيئي ممثلاً بمدينةته ورمزيتها وإيحائها والموقف منها شعرياً. وفي مستوى آخر تتوسع دائرة المثاقفة لتشمل التأثر بالأفكار والرؤى والتصورات الغربية وسواها من نتاج ثقافات الآداب الأجنبية في مجال موسيقاها وإيقاعاتها، ويرصد الناقد تنوع تلك التأثيرات وتجدد مراجعها بفعل التقارب الثقافي وتعدد منابع المثاقفة جغرافياً ولغويًا وثقافياً.

ويؤكد الصكر أن درس المثاقفة غير بعيد عهد في الدراسات النقدية والثقافية وما يجاورها أو تجاوره من الحقول المعرفية. فقد جرى في التقليد السائد في دراسات الشعرية العربية أن تم المقارنات داخليا، بين نصوص ذات حاضنة واحدة، رغم أن تاريخ النقد العربي ترك لنا مدونات تؤكد تأثر الشعراء بالنتاج الشعري أو الفكري للثقافات المجاورة والبعيدة التي تم التواصل معها عن طريق الترجمة، وربما من المكرر القول إن أشعار المتنبي وحكم أرسطو تصلح مثالا لذلك.

ومثلها ما شعاع في الشعر العباسي من تأثر بمقولات فلسفية يونانية، ومن حكم الهند وسرد الفرس، وهو ما أتاحتها الصفة الكوسموبوليتية للمدينة العربية وانفتاحها على الثقافات الأخرى، وكذلك تأثر العلوم اللغوية والبلاغية والفلسفة بالمنطق اليوناني.

وبالانتقال إلى العصور الحديثة سنشهد كيفيات أخرى للمثاقفة تتم عبر النماذج المباشرة مع الآخر بالدراسة والتعلم، وينشط الترجمة ونسوء الحقول المتخصصة بالترجمة والأدب المقارن، وسوف تتعزز تلك الصلات بالهجرات الكبيرة التي تمت بشكل موجات لم يكن الرييل الأول من المهاجرين العرب إلا روادها الذين فتقوا طرقها. وسوف تغدو المنافي هجوم النورمانديين عليها، وابن العسال الذي رثى طليطلة، وأبي البقاء الرندي الذي رثى من الأندلس إثر سقوطها بيد القشتاليين.

ويتناول الداية أغراضاً شعرية أخرى أخذت سمات مختلفة عند الأندلسيين من المدح والزهد والعتاب والغزل والنسب، حيث اتسم الأخير بظهور شاعرات شاركن في الحركة الأدبية من ولادة وحفصة الركونية ومهجة القرطبية وغيرهن. وسبق الشعر الأندلسي نظيره المشرقي باختراع أغراض شعرية غير مسبقة من نظم السيرة النبوية، حيث كتب ابن أبي الخصال قصيدة في ذكر نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته ومناقبه، كما كتب الأندلسيون رسائل شعرية إلى الديار المقدسة.

ويلفت الداية إلى ظهور الداعية الساخرة في قصائد العديد من الشعراء الأندلسيين مثل يحيى الغزال وابن عبد ربّه وابن الطراوة، الذين بلغت بهم

ناقد سوري يقتفي شعبية الشعر الأندلسي

دمشق – الطوابع الشعبية في الشعر الأندلسي " عنوان الكتاب الجديد للباحث السوري محمد رضوان الداية الذي يرصد فيه ما تنفرد به الشعر في الأندلس عن غيره من الأقطار، وخصوصيته في حمله فكرة التعبير عن الناس وأحوال البلاد والانغماس بقضايا الأمة الصعبة. ويوضح استناد الأدب والنقد في جامعة دمشق أن عبارة الطوابع الشعبية تعني أن الشعر يتم تفصيله من قلوب شعوبه وأفئدتها، وينطق بلسانها ويصور حياتها وأمالها والأمها سواء في عصور الابتهاج أو الابتئاس.

وينتقد مؤلف الكتاب عند الأشكال الشعرية الجديدة التي ابتكرها الأندلسيون منها الموشح، حيث ظهر لأول مرة في قرية تسمى قبرة تقع بالقرب من قرطبة، وحظي باهتمام الحكام والولاة والكبراء فضلاً عن عامة الشعب، ومن ثم ظهر بعده الزجل الأندلسي.

ويفرد الداية فصلاً واسعاً للحديث عن عرض الرثاء في الشعر الأندلسي الذي تناول موضوعات جديدة غير مطروقة



بمجتمعاتهم الجديدة، وأعدت صلتهم بأوطانهم وأديانها كما لو كانوا فيها. يقول الصكر "رغم أنني من الذين يلاحظون عدم تفاعل قصيدة المنفى والمهجر والمغرب مع محيطها الجديد بالقدر الكافي الطارد للعزلة الثقافية والخوف من الآخر، والإحباطات التي عاناها كثير من شعراء تلك البيئات التي لم تفلح في دمج بعضهم بإيقاع ثقافتها، فقد ظل خطاب بعضهم عاطفياً لا ينصاع لأعراف المعرفة، فضلاً عن غياب المشغل والمؤثر البيئي الشعري الجديد في شعرهم الذي لم يجد لديهم معداً هاضمة تتمثل ولا تجتر، فغالبهم يجهل لغة مغربه وشعراته وسياقاته الثقافية".

ويستخني الناقد أمثلة لشعراء ومثقفين من الشباب خاصة يتفاعلون ثقافياً مع المحيط الجديد، وتقدم قراءاتهم وتجاربهم إضافات مهمة للقصيدة العربية الحديثة. لكن التنوع رغم ذلك حاصل ومؤثر بفعل قوانين التراكم الكمي والتحول النوعي التالي له. كما أن الحرية التي تتيحها الحداثة لمتمتبتها

بمجمعاتهم الجديدة، وأعدت صلتهم بأوطانهم وأديانها كما لو كانوا فيها. يقول الصكر "رغم أنني من الذين يلاحظون عدم تفاعل قصيدة المنفى والمهجر والمغرب مع محيطها الجديد بالقدر الكافي الطارد للعزلة الثقافية والخوف من الآخر، والإحباطات التي عاناها كثير من شعراء تلك البيئات التي لم تفلح في دمج بعضهم بإيقاع ثقافتها، فقد ظل خطاب بعضهم عاطفياً لا ينصاع لأعراف المعرفة، فضلاً عن غياب المشغل والمؤثر البيئي الشعري الجديد في شعرهم الذي لم يجد لديهم معداً هاضمة تتمثل ولا تجتر، فغالبهم يجهل لغة مغربه وشعراته وسياقاته الثقافية".

ويستخني الناقد أمثلة لشعراء ومثقفين من الشباب خاصة يتفاعلون ثقافياً مع المحيط الجديد، وتقدم قراءاتهم وتجاربهم إضافات مهمة للقصيدة العربية الحديثة. لكن التنوع رغم ذلك حاصل ومؤثر بفعل قوانين التراكم الكمي والتحول النوعي التالي له. كما أن الحرية التي تتيحها الحداثة لمتمتبتها

سابقاً من رفاء الشباب والحياة والزوجة والمدن والممالك، مثل عبدالله الموروري الذي رثى مدينة الجزيرة الخضراء بعد هجوم النورمانديين عليها، وابن العسال الذي رثى طليطلة، وأبي البقاء الرندي الذي رثى من الأندلس إثر سقوطها بيد القشتاليين.

ويتناول الداية أغراضاً شعرية أخرى أخذت سمات مختلفة عند الأندلسيين من المدح والزهد والعتاب والغزل والنسب، حيث اتسم الأخير بظهور شاعرات شاركن في الحركة الأدبية من ولادة وحفصة الركونية ومهجة القرطبية وغيرهن. وسبق الشعر الأندلسي نظيره المشرقي باختراع أغراض شعرية غير مسبقة من نظم السيرة النبوية، حيث كتب ابن أبي الخصال قصيدة في ذكر نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته ومناقبه، كما كتب الأندلسيون رسائل شعرية إلى الديار المقدسة.

ويلفت الداية إلى ظهور الداعية الساخرة في قصائد العديد من الشعراء الأندلسيين مثل يحيى الغزال وابن عبد ربّه وابن الطراوة، الذين بلغت بهم

يقول "لقد كتبت الكثير في شعر إليوت وبقده في الحداثة الشعرية العربية، حتى قبل إنهما قد فجرا ثورة كبيرة في الشعر العربي الحديث. وهذا الحكم الذي أطلقه موريه بحاجة إلى تمحيص، فالمتمنى الميتافيزيقي لدى إليوت لم يكن مناسباً للافكار الخورية التي صاحبت فترة ظهور شعر الرواد وحركات التجديد، وتأثرهم بالواقع والأفكار الداعية للتغيير. كما أن اكتشافاً قصائد إليوت بالمراجع الثقافية والاسطورية خاصة، تخلو منها جل القصائد المبكرة عندنا باستثناء حالة السياب الذي انصرف لتفتمين الرموز والاساطير والاستطراء في هوامس مطولة لشرحها، والإكثار منها في قصائد ما عرف بالمرحلة التموزية في تجربته".

وفي حديثه عن الخصومات وضدية الثقافتين وضمانيته ضرب مثلاً بما جرى مع أدونيس، ويقول "كان أدونيس مثلاً لهذا التعقب الفضائحي كونه أكثر الشعراء العرب تماساً ثقافياً مع الغرب عيشاً وكتابة ومثاقفة وترجمة، لقد جرت ملاحظة نصومه لا بروج التشرب الثقافي، بل بالبحث عن مرجعية حرفية للمفوضاته حتى ما كان منها مشتركة إنسانياً. والطريف أن مخونه وراصدي سرقاته" يتهم أحدهم الآخر".

يبحث الصكر في الدوافع وراء عملية المثاقفة والتأثر والتأثير بفحص مستوياتها المحددة إجمالاً في المستوي المقارني والمستوى الأيديولوجي والمستوى الفني. وفي هذا المستوى الأخير أشار إلى باب السراقات في كتب النقد العربية والخصومات الخاصة مع شعر المتنبي، ليتوقف بعدها عند سرقات المحدثين وأثر تس إليوت على الشعراء العرب خاصة صلاح عبدالصبور والسياب والبياتي.

ويلفت إلى أن النقص الاشعوري أخرج موضوع المثاقفة من تهمة التأثر السانج أو التقليد والنقل، وأعطى فرصة إنجاز بناء خاص للقصيدة يصبح المؤثر معها ثانياً. وهكذا يمكن النظر إلى صلة إيدبت سبوتويل وإليوت بشعر البياتي وصلاح عبدالصبور والسياب.

أدونيس أكثر شاعر عربي تلاحق نصوصه بالتمم

ويضيف الصكر "كتب المنصف الوهايبني أطروحة بعنوان 'الجسد المرئي والجسد المنخفي'. شعر أدونيس قراءة تناصية، وصفها كاظم جهاد بأنها 'تدرس التواضعات الثقافية والمؤثرات الشعرية العاملة في نصه'. أي نص أدونيس، وذلك في كتابه 'أدونيس منتحلاً...' ولكنه لم يرض تماماً عن عمل الوهايبني الذي استجاب لشروط وضوابط أكاديمية تعتمد درس التناس ولغة البحث الرصينة".

ويتابع 'انهم جهاد الوهايبني بانه لمَّح مرجحاً لانتقال أدونيس ولم يصرح به، وأنه أدخل بعض السرقات ضمن التناس، وبرر تأثيرات أدونيس بالنفري حد التطابق اللفظي أحياناً بأنه لا يستطيع أن يتخلص من إبقاعه الذي يتعذر توليده دون تقليده. وكمثال من الأخذ عن الشعر الأجنبي لا يرضى جهاد أن يصف الوهايبني نقل أدونيس لببت بودلير 'أيها القارئ المرابي، يا شيبهبي وأخي' بانه إدغام في قول أدونيس 'وأنت أفهمني أيها الضائع، أنتها الشجرة المنكوسة، يا شيبهبي. وهنا لا تنفع مسالة المؤثر الشائع والمثاقفة، فادونيس برأي جهاد لا يجزئ أن ينسب لنفسه قولاً شيبهياً".

كتاب يدرس ظاهرة التحول الديمقراطي

التجارب الميدانية الدولية الحديثة من ناحية أخرى.

وذلك في رأيه لا يكون إلا انطلاقاً من ثلاث فرضيات أساسية، أولاهما تحليل إلى أن الأزمات السياسية والأمنية القائمة في عدد من دول المنطقة تعكس حجم الإكراهات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعتركة من جهة، وعدم اختيار المداخل اللازمة والكفيلة بدعم التحول الديمقراطي من جهة أخرى. وثانيها أن استحضر التجارب الدولية الحديثة في هذا الصد سينتشل الحراك من المنطقة، كما سينتشل الحراك من "القتامة" التي أصقت به؛ بربطه بالإرهاب والإستلاب الأمني والتراجع الاجتماعي والاقتصادي.

أما الفصل الثاني فتم تخصيصه لمجموعة من التجارب الديمقراطية الحديثة في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية، وفي آسيا وأفريقيا، مع تناول وتحليل للآليات المعتمدة في تدبير مختلف الإشكالات والأزمات التي رافقت التحول في عدد من الدول، مع التوقف عند الدروس المستفادة في هذا الشأن عربياً، سواء في ما يتعلق بالمدائل القانونية والسياسية والاقتصادية والأمنية المعتمدة، قبل تناول دور العدالة الانتقالية

في تدبير أزمات التحول الديمقراطي في ضوء عدد من التجارب الدولية والإقليمية في هذا الخصوص. ويسعى لكريني في هذا المؤلف، الذي جاء في 280 صفحة من الحجم المتوسط والصادر بدعم من مؤسسة "هانس زايدل"، إلى الإجابة عن إشكالية رئيسية تتعلق بتحديد المداخل اللازمة لتأمين تحولاً ديمقراطياً في المنطقة العربية بأقل كلفة، عبر استيعاب الإشكالات المطروحة في هذا الشأن من ناحية، وكذلك التراكمات النظرية

مراكش (المغرب) - في كتابه الجديد بعنوان "تدبير أزمات التحول الديمقراطي.. مقارنة بالحراك العربي في ضوء التجارب الدولية"، يؤكد الباحث إدريس لكريني أن الأقطار العربية ظلت من بين الدول الأقل تفاعلاً مع المتغيرات الكبرى التي شهدتها العالم بعد نهاية الحرب الباردة، مقارنة مع عدد من الأقطار في أميركا اللاتينية كالمكسيك والبرازيل والتشيلي، أو في أوروبا الشرقية كبولندا ورومانيا، أو في بعض البلدان الأفريقية كجنوب أفريقيا ورواندا والتي رامت مكتسبات سياسية واقتصادية هامة اعتماداً على المعطيات التاريخية والانعطافات التي شهدتها العالم.

ويرصد الكتاب، الصادر عن المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، بداية مفهوم وأنماط التحول الديمقراطي، وأزمة التحول في المنطقة العربية من حيث أسبابها وتداعياتها. كما يتناول سياقات الحراك "العربي" منطلقاً إلى عدد من الحالات من تونس وليبيا وسوريا ومصر واليمن والمغرب والجزائر والسودان، ومجمل الإشكالات المطروحة في هذا الخصوص على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتدخلات الخارجية، وولوج التيار الإسلاميه للحكم.

المنطقة، كما سينتشل الحراك من "القتامة" التي أصقت به؛ بربطه بالإرهاب والإستلاب الأمني والتراجع الاجتماعي والاقتصادي.

يسعى لكريني في هذا المؤلف، الذي جاء في 280 صفحة من الحجم المتوسط والصادر بدعم من مؤسسة "هانس زايدل"، إلى الإجابة عن إشكالية رئيسية تتعلق بتحديد المداخل اللازمة لتأمين تحولاً ديمقراطياً في المنطقة العربية بأقل كلفة، عبر استيعاب الإشكالات المطروحة في هذا الشأن من ناحية، وكذلك التراكمات النظرية